لغة الطفل فى الوطن العربى

دراسة فى المجالات والاتجاهات والمناهج

أ.د. خالد فهمى إبراهيم

تمثل دراسة لغة الطفل محورًا عابرًا للاختصاصات فى العصر الحديث، وكان مشغلة حقول معرفية متنوعة. رعاه اللسانيون، وعلماء النفس، وعلماء التربية، وعلماء الاجتماع، والأطباء، وغيرهم.

ولعل ذلك كاف فى ضرورة فحص ما أنجز من دراسات حولها، لأهميتها الكبيرة والمتجاوزة.

إن الانطباع العابر السريع يصب فى اتجاه تراجع بحوث دراسة لغة الطفل فى الوطن العربى، وهو ما يحمل على ضرورة التوقف أمام دراسات هذا الحقل المعرفى، رصدًا، وتقييمًا، وبيانًا للمجالات والاتجاهات والمناهج؛ لأن ذلك يعد الخطوة المركزية فى سبيل التخطيط للمستقبل.

وتسعى هذه الورقة إلى فحص منجز دراسات لغة الطفل فى الوطن العربى من باب العناية بالآفاق المستقبلية، دعمًا لأجواء التقدم والرعاية التى يشهدها مجال دراسات الطفولة من جانب، وتماشيًا مع التطور المذهل لبحوث عم اللغة / أو اللسانيات فى توجهها لخدمة الحقول المعرفية المختلفة من جانب آخر.

وتعالج الورقة ما تطمح إليه من خلال المطالب التالية :

- دراسة لغة الطفل فى الوطن العربى : مقالة فى حدود المنجز.
- لغة الطفل فى الوطن العربى : دراسة فى المجالات.
- لغة الطفل فى الوطن العربى : دراسة فى الاتجاهات.
- لغة الطفل فى الوطن العربى : دراسة فى المناهج.
- دراسة لغة الطفل فى الوطن العربى : قصور اللحظة وآفاق المستقبل.

إن هذه الورقة تطمح أن تكون مقدمة موجزة جدًا فى سبيل التقدم نحو واحد من أخطر الحقول المعرفية، وأكثرها أهمية، وأنجعها للمستقبل.

دراسة لغة الطفل فى الوطن العربى : مقالة فى حدود المنجز.

منذ زمان ليس بالقريب وخدمة دراسات لغة الطفل فى الوطن العربى من الزاوية البيليوجرافية تكاد تكون منعدمة!

والفقر البيليوجرافى مؤشر مهم جدًا على تراجع دراسات الرصد والتقييم والتخطيط للمستقبل معًا.

ومع ذلك فثمة نقطة نور على الطريق تتمثل ملامحها فى ما يمكن أن يقدم الدليل البيليوجرافى لطفل ما قبل المدرسة فى الوطن العربى، وهو الدليل الذى أصدره المجلس العربى للطفولة والتنمية، بالقاهرة، بلا تاريخ سنة (١٩٩٤م).(١)

وقد ضم هذا الدليل (٥٨٣) مدخلاً / عنوانًا موزعة على عدد كبير من الحقول المعرفية.

وقد جاء حقل (لغة الطفل) حقلاً علويًا انضوى تحته ما يلى من الحقول الفرعية :

- لغة الطفل : مفردات.
- لغة الطفل : مهارات.
- لغة الطفل : نمو.

ثم توزعت مجموعة من العنوانات على حقول أخرى متداخلة مع حقل اللغة، من مثل اللغة والفكر، وغير ذلك.

لقد مرت عشرون سنة، لم يحدث هذا الدليل، ولم يلحقه استدراكات، ولكنه يمثل نقطة صالحة للبناء على ما ورد فيه من معلومات تتعلق بمنجز دراسات لغة الطفل فى الوطن العربى بما هو حق علوى، يمثل نقطة صالحة أيضًا، لكشف المجالات والاتجاهات والمناهج.

إن كثيرًا من المياه جرت فى النهر فى ما بعد سنة ١٩٩٤م إلى اليوم فى هذا الحقل الخصيب، وهو ما يؤذن بضرورة متابعة البحث فيه.

لقد ضم هذا الحقل فى الدليل البيليوجرافى لطفل ما قبل المدرسة فى الوطن العربى (ص ٩٧ وما بعدها) ما يلى :

أولاً : حقل لغة الطفل؛ سبع دراسات.

ثانيًا : حقل لغة الطفل : مفردات؛ ثلاث دراسات.

ثالثًا : حقل لغة الطفل : مهارات؛ دراستان.

رابعًا : حقل لغة الطفل: نمو؛ ثلاث دراسات.

خامسًا : حقل اللغة والفكر؛ دراستان.

سادسًا : حقل القراءة ومهاراتها؛ أربع دراسات.

سابعًا : حقل التنمية اللغوية للطفل؛ دراسة واحدة.

ثامنًا : حقل الممارسات تجاه الطفل لغويًا؛ دراسة واحدة.

وبهذا يكون مجموع ما ضمه الدليل (٢٥) دراسة تمثل نسبة : (٠٫٠٤٣%) وهى نسبة قليلة جدًا فى سياق حقول دراسات الطفولة بوجه عام. إن هذه النسبة تذكرنا بمجتمع النصف فى المئة الذى كان واحدًا من محركات نمو ما سمى ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م**!**

وهذه العبارة مع تقدير مرارتها، ومع تقدير ما قد يفهم من هوامشها الضاربة بعمق فى السخرية عبارة مقصودة؛ لأنها صحيحة، ومقصودة لأنه يرجى أن تكون مقدمة لثورة حقيقية، إيجابية تغير من خريطة دراسات الطفولة اللغوية.

لغة الطفل فى الوطن العربى : دراسة فى المجالات.

يعد مفهوم المجال مفهومًا متعدد الظهور بسببٍ من ترحله بين الحقول المعرفية، صحيح أن له بعدًا فلسفيًا ونفسيًا، ويرتبط ارتباطًا جوهريًا بالجغرافيا، لكنه ممكن الاستعمال والتوظيف فى ميادين معرفية كثيرة.

والمجال، بعد نقله من الجغرافيا، يمكن أن يعرف بأنه : المنطقة التى تحتلها مجموعة من البحوث والدراسات، تجمعها مسافة وساحة واحدة.(٢)

ومن هنا فقد كشف هذا الدليل البيليوجرافى لطفل ما قبل المدرسة عددًا من المجالات يمكن تأملها فى ما يلى :

أولاً : مجال دراسة لغة الطفل بما هو حقل نظرى يرصد الحقائق، والملامح، والمعلومات، ويدلل عليها، وممن يمثل هذا المجال فى الدليل :

- الدكتور حلمى خليل بكتابه : اللغة والطفل، (القاهرة) ١٩٨٧م.
- وحيدة الشاهد بأطروحتها للماجستير عن : بيئة لغة الطفل ما بين ٣-٦ سنوات، (الأردن) ١٩٨٠م.
- صالح هادى الشماع، بكتابيه : ارتقاء اللغة عند الإنسان والطفل، (القاهرة)، ١٩٦٣م. وبزوغ ارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، (البصرة) ١٩٦٧م. وأطروحته للماجستير : اللغة فى الطفولة الأولى، (القاهرة)، ١٩٥٤م.
- عبدالباسط متولى عاشور بأطروحته للماجستير : دراسة العلاقة بين المستوى الثقافى للأسرة والمستوى اللغوى للطفل، (القاهرة) ١٩٨٣م.
- الدكتور على عبدالواحد وافى بكتابه : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، (القاهرة)، ١٩٧١م.

وظاهر جدًا من هذا المجال أنه مع تمدد دراساته نسبيًا مقارنة بما بعده من مجالات – فإنه لم يأت مستوفيًا لأبعاده النظرية، من جهة، ويهيمن عليه غير اللسانيين من جهة أخرى.

ثم إنه يظهر هيمنة القاهرة على المنجز الريادى فى هذا المجال، إنجازًا للدراسات، وإشرافًا عليها لمن ينجز بعضها من غير المصريين.

ثانيًا : مجال دراسة لغة الطفل (المفردات).

إن دراسة المفردات أو الحصيلة اللغوية للطفل بما هى مؤشر على غيرها من حقول تتعلق بذكائه، ونموه العقلى، وتوجيهه الدراسى، مجال ظاهر جدًا فى ما ورد فى الدليل وفى ما لحقه من تراكم فى العقدين اللذين أعقبا إصدار هذا الدليل، ويمثله :

- وليد خضر الزند بأطروحته للماجستير : المفردات الشائعة لأطفال المرحلة التمهيدية فى بغداد، (بغداد) ١٩٧٦م.
- راتب سلامة العود بأطروحته للماجستير : مفردات الطفل الأردنى عند الالتحاق بالصف التمهيدى فى مرحلة رياض الأطفال فى مدينة عمّان العاصمة، (عمّان)، ١٩٨٣م.
- د. ليلى كرم الدين بكتابها : الحصيلة اللغوية لطفل ما قبل المدرسة : دراسة استطلاعية، (القاهرة)، ١٩٨٧م.

لقد تقدمت بحوث هذا المجال خطوة إلى الأمام إذ نظرت إلى نفسها من باب أنها وسيلة لإنجاز أهداف أوسع مدى من حدودها لدرجة وصلت بالدكتوره ليلى كرم الدين أن تعدها مقدمة لأعمال قومية أكبر.(٣)

وهذه الرؤية التى حكمتها تمثل روحًا استشرافية تتطلع نحو المستقبل، وتتوزع بما تنجزه من أجل إنجاز أعمال أوسع منه.

ثم إن خطوة أخرى أحرزتها بحوث هذا المجال وهى المتمثلة فى استمرار العمل، وتراكمه، وتوسيع آفاقه، وتمديد مساراته وأمثلته، وهو ما نلمسه فى مثل الآثار التالية :

ليلى كرم الدين فى كتابها : قوائم الكلمات الأكثر انتشارًا فى أحاديث الأطفال من عمر عام حتى ستة أعوام. القاهرة ١٩٩٠م.

صحيح أن هذا الأثر داخل ضمن الحدود الزمنية للدليل الببليوجرافى، لكنه مما فاته ولم يدركه - ولكن مراجعة الدراسة المسحية للغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى التى أعدها المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية دعمًا لاستراتيجية تنمية لغة الطفل التى يقوم عليها المجلس العربى للطفولة والتنمية – تكشف عن عدد بحوث هذا المجال فى الفترة الممتدة من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٧م على مستوى بحوث الماجستير والدكتوراه.(٤)

ثالثًا : مجال دراسة لغة الطفل : (المهارات).

إن مهمة الدراسات فى لغة الطفل تكاد تنحصر فى إرادة تحقيق مقصد كلى عام هو تنمية الطفولة لغويًا تمهيدًا لتنمية الطفل من الجوانب الحيوية والاجتماعية والنفسية والتعليمية والحركية المختلفة.

ومن أجل ذلك فإن ظهور بحوث فى مجال دراسة لغة الطفل : (المهارات) يمثل حالة إيجابية على الرغم من قلة بحوث هذا المجال.

إن ظهورها أمر مبشر بكل تأكيد، وقلتها أمر داعٍ للتطوير والتقدم نحو صناعة تراكم.

وقد رصد الدليل البيليوجرافى دراستين فى هذا المجال هما :

- جوزال عب الرحيم فى كتاب : المهارات اللغوية لطفل الرياض : مرشد المعلمة، (القاهرة) ١٩٨٨م.
- هدى محمد الناشف فى كتاب : المهارات اللغوية لطفل الرياض : مرشد المعلمة، (القاهرة) ١٩٨٨م.

رابعًا : مجال دراسة لغة الطفل (النمو).

إن العلاقة بين النمو بما هو فرع من فروع علم النفس المعاصر وبين اللغة بما هى محدد من محددات قياس النمو والحكم عليه علاقة وطيدة للغاية، وهو ما يعكس أهمية ظهور بحوث هذا المجال، وقد مثلها فى الدليل ثلاث دراسات هى :

- بسيونى بسيونى السيد سليم فى أطروحته للماجستير : تطور النمو اللغوية عند طفل ما قبل المدرسة من الثالثة حتى نهاية الخامسة، وعلاقته ببعض المتغيرات الأسرية، (القاهرة) بلا تاريخ.
- دسوقى السيد السيد فى أطروحته للماجستير : المستوى التعليمى للأم وعلاقتها بالنمو اللفظى لطفل ما قبل المدرسة. (القاهرة) ١٩٨٥م.
- عبداللطيف حسين فرج فى كتابه : النمو اللغوى لأطفال مرحلة الرضاعة فى المملكة العربية السعودية : دراسة حالة، (الكويت) ١٩٨٨م.

خامسًا : مجال دراسة لغة الطفل : (اللغة والفكر).

لم يكشف الدليل عن سمة عربية فى هذا المجال، وكشف فقط عن بحوث مترجمة تمثلت فى :

- جان بياجيه فى كتابه : اللغة والفكر عند الطفل، ترجمة أحمد عزت راجح، وأمين مرسى قنديل، (القاهرة) ١٩٦٣م.
- ل. س. فيجوتسكى، ترجمة طلعت منصور (القاهرة) ١٩٧٦م.

سادسًا : مجال دراسة لغة الطفل : (مهارات القراءة).

أورد الدليل البيليوجرافى عددًا من الدراسات المرتبطة ارتباطًا وثيقًا ومباشرًا بلغة الطفل، تختص بجانب القراءة، وتنمية القرائية، وهو مجال مهم جدًا خادم لتحصيل اللغة، وتنميتها، وهذه الدراسات هى :

- محمد محمود رضوان فى كتابه : الطفل يستعد للقراءة، (القاهرة) ١٩٧٦م.
- فوقية حسن عبدالحميد، فى أطروحتها للدكتوراه : دراسة المعنى العوامل المرتبطة بتأهب الطفل للقراءة، (الزقازيق / مصر) ١٩٨٧م.

- صالح عبدالرحيم عبدالله فى كتابه : برنامج مهارات ما قبل القراءة، (الكويت) ١٩٨٧م.
- نانسى لادل فى كتابها : طفلك كيف يتعلم القراءة، ترجمة فرح موسى، (القاهرة) ١٩٧٧م.
- عواطف إبراهيم محمد، فى كتابها : الطرق الخاصة بتنمية مهارات القراءة والكتابة عند الأطفال (٤-٦) سنوات، (القاهرة) ١٩٨٩م.

سابعًا : مجال دراسة لغة الطفل : (تنمية لغة الطفل).

لا يُتصور أن يكون هذا المجال منفصلاً عما سبقه من مجالات، ذلك أن تنمية لغة الطفل هدف استراتيجى لكل بحوث مجالات دراسة هذا المحور، فأيًا ما كان المجال المعنى بدراسة أى لغة للطفل فإن المستهدف المركزى منها جميعًا هو تنمية لغة الطفل.

على أن التوجه المباشر لفحص المحددات المؤثرة فى خدمة هذه القضية كان ظاهرًا فى دراسة فوقية رضوان (أثر القصص على بعض جوانب النمو اللغوى لدى طفل ما قبل المدرسة الإبتدائية)، أطروحة ماجستير، القاهرة، ١٩٨٣م.

ثامنًا : مجال دراسة لغة الطفل : (الاستجابة اللفظية).

تمثل دراسات قياس الاستجابة حقلاً مهمًا على مستوى التخطيط اللغوى لتنمية لغة الطفل من جانب، ومجالاً له تقديره فى تقويم ممارسات المتعاملين مع الطفل من جانب آخر.

وقد ظهرت فى الدليل البيليوجرافى دراسة نجيب يوسف عبيد عن (ممارسات معلمات رياض الأطفال فى الأردن تجاه الطفل كما تعبر عنها استجابتهن اللفظية)، جامعة اليرموك، عمّان، الأردن، ١٩٨٢م.

إن هذه المجالات الثمانية هى التى كشف عنها تحليل ما ورد فى الدليل من عنوانات البحوث والدراسات والرسائل، والمجالات التى اجتهدت الورقة فى احترام التصنيفات الفرعية التى أوردها الدليل.

وثمة تصنيف آخر يمكن أن يمثل أهمية فى سياق رصد المجالات، وهو الذى ينطلق من الترادف بين المجالات والعلوم، أى اعتبار المجال حقل علم بعينه.

ومن هنا فإن توزيع البحوث والدراسات التى أوردها الدليل البيليوجرافى يمكن أن تتوزع على الحقول المعرفية التالية :

أولاً- مجال اللسانيات؛ ويتفرع عنه :

- نشأة اللغة عند الطفل.
- اكتساب اللغة عند الطفل.
- خصائص لغة الطفل.

ثانيًا- مجال اللسانيات التطبيقية؛ ويتفرع عنه :

- معاجم الأطفال. (غير موجودة فى الدليل).
- قوائم الكلمات الأكثر انتشارًا.
- تعلم اللغة عند الطفل. (ربما هى لغة أم / وربما هى لغة ثانية؛ وهو غير موجود فى الدليل).
- لغة الطفل والحاسوب. (غير موجود).

ثالثًا- مجال اللسانيات العيادية؛ ويتفرع عنه :

- مشكلات النطق.
- عيوب الكلام.
- أمراض التخاطب.

وقد أضافت الدراسة المسحية التحليلية : لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى التى أعدها المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية، بالقاهرة ٢٠٠٨م، وهى الدراسة التى نهضت بعبء تكملة ما كان بعد الفترة التى غطاها الدليل البيليوجرافى – عددًا آخر من المجالات بالمعنى الذى قررناه آخرًا وهو المترادف مع العلوم، تمثل فى ما يلى : (ص ٣٠٠) :

رابعًا - مجال المناهج (التعليمية والتربوية) بما هو علم، ويتفرع منه :

- استراتيجيات تعليمية / تعلمية.
- الأنشطة.
- التقويم.
- إعداد المعلم وتدريبه.

خامسًا- مجال علم النفس : (بفروع كثيرة) ويتفرع منه :

- سيكولوجيات التعليم / تعلم اللغة.
- صعوبات تعلم اللغة.

سادسًا- مجال أصول التربية، ويتفرع منه :

- ثقافة وقيم.

سابعًا- مجال تكنولوجيا التربية (وكان غائبًا عن بحوث الدليل البيليوجرافى) ويتفرع منه :

- تكنولوجيا التعليم / التعلم.

ثامنًا- مجال الإعلام التربوى، ويتفرع منه :

- إعلام تربوى لغوى (وهو مجال غابت بحوثه عن الدليل البيليوجرافى)

تاسعًا- مجال التربية الخاصة، ويتفرع منه :

- اللغة والتربية الخاصة.

عاشرًا- اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويتفرع منه :

- اللغة العربية لغة أجنبية.(٥)

إن هذه المجالات العشرة بما هى حقول معرفية أو علوم مكتملة ناضجة تعكس التطور الظاهر الذى أصاب دراسات لغة الطفل، وهو التطور الذى يمكن أن نقسمه قسمين هما :

أولاً : مرحلة البدايات والريادة. (مرحلة الإرهاص)

ويمثل بحوثها الدليل البيليوجرافى (١٩٩٤م).

ثانيًا : مرحلة الاستقرار والتأسيس.

ويمثل بحوثها الدراسة المسحية التحليلية : (لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى) التى غطت الفترة من ١٩٩٥م – ٢٠٠٧م.

ويبقى للزمان مهمة إنجاز بقية المراحل حتى يمكن الاعتراف بازدهار دراسات لغة الطفل فى الوطن العربى.

ومن الملاحظ غياب مجالات مهمة جدًا فى سياق قراءة المنجز من بحوث هذا الحقل فى مرحلتيه اللتين أظهرهما : الدليل البيليوجرافى ١٩٩٤م، والدراسة المسحية ٢٠٠٨م، من مثل :

- مجال طب الأطفال. (أمراض التخاطب).
- مجال التخطيط، بتوزيعاته المتنوعة.
- مجال السياسة.(التوعية السياسية / والمشاركة السياسية).
- مجال الاجتماع (الاجتماع اللغوى).
- مجال الاتصالات.
- مجال الموسيقى والفنون (تنمية لغة الطفل بالألحان والدراما).

إن هذه المجالات (أو الحقول المعرفية) تنتظر بذلاً وعملاً يرعى تمدد بحوثها، وتراكم دراستها.

وهذا التمدد والتراكم مرهون بالإفادة من المنجز الذى رصده الدليل البيليوجرافى والدراسة المسحية من بعده، وهى الإفادة التى ينبغى أن تحلل ما يلى :

أولاً- نقاط القوة التى تظهرها بحوثهما.

ثانيًا- نقاط الضعف التى تظهرها بحوثهما.

ثالثًا- مناطق توافر الخبرة والتراكم.

رابعًا- مناطق تراجع الخبرة والتراكم.

خامسًا- مناطق غياب المنجز.

إن دراسة لغة الطفل فى الوطن العربى على مستوى المجالات أو الحقول والعلوم باتت أمرًا مهمًا جدًا لتحقيق أى تقدم فى بحوثها المستقبلية؛ ذلك أن المستقبل مرهون بحسن الانطلاق من اللحظة، ومرهون بحسن قراءة الماضى، وتحليله، والوقوف على النقاط الخمس التى سبقت الآن هنا.

لغة الطفل فى الوطن العربى : دراسة فى الاتجاهات.

الاتجاهات أو المسارات مظلة تبدو من التحليل المعجمى لمعناها – أكبر وأوسع من حدود المجالات، وهو ما نركن إليه فى هذه الورقة.

وفحص بحوث الدليل البيليوجرافى (١٩٩٤م) والدراسة المسحية (٢٠٠٨م) كاشف عن مجموعة من الاتجاهات والمسارات التى حكمت بحوث لغة الطفل فى المرحلتين اللتين أمكن تأريخهما؛ وهما :

- مرحلة الريادة والبداية، وتقف عند حدود ١٩٩٤م؛ (تقريبا).
- مرحلة الاستقرار والتأسيس، وتمتد من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٧م.(تقريبا).

وتتمثل مجموعة الاتجاهات والمسارات التى حكمت بحوث لغة الطفل فى الوطن العربى فى ما يلى :

أولاً- اتجاهات الدراسات النظرية.

وهى تلك الدراسات التى اضطلع بها لسانيون أو علماء لغة فى المقام الأول بقصد بيان السمات اللغوية لهذه المرحلة، وبيان مجموع الحقائق اللسانية أو اللغوية الموجهة والحاكمة لبحوث هذا المجال؛ سعيًا لاستثمارها فى مجالى التربية واللسانيات معًا.

يقول الدكتور على عبدالواحد وافى فى الفصل الذى عقده كتاب : نشأة اللغة عند الإنسان

والطفل بعنوان : الانتفاع بحقائق هذا الباب فى التربية والتعليم : "ليس بعزيز على المتأمل في البحوث النظرية (للغة الطفل) أن يستخلص منها عدة قواعد عملية للتربية والتعليم اللغويين "(٦)

ويقول الدكتور حسام البهنساوى فى كتابه : لغة الطفل فى ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث : "إن دراسة لغة الطفل من الدراسات اللغوية الهامة... فالنظام اللغوى عند الطفل... لا يقل أهمية عن النظام اللغوى عند الكبار".(٧) ولعله يقصد أن دراسة النظام اللغوى عند الطفل يعين على تفسير كثير من الظواهر اللغوية فى اللسانيات أو علم اللغة بشكل عام.

وتكشف بحوث الدليل البيليوجرافى والدراسة المسحية والعينة الحيّة العشوائية للفترة التالية لهما وهى (٢٠٠٨م – ٢٠١٤م) عن ندرة بحوث هذا الاتجاه؛ ربما لتضمينها بحوث الاتجاهات الأخرى عند التحليل، فضلاً عن عدم تحديثها، واعتمادها على عدد من الأدبيات المبكرة نسبيًا فى هذا المجال.

ثانيًا - اتجاه الدراسات التطبيقية / التدريبية.

وهي تلك الدراسات التى تقوم على وضع البرامج والأدلة العلمية التى تستهدف من يرعون الطفل (من الآباء والأمهات والمعلمين والمعلمات)، وتستهدف الطفل نفسه.

ولعل أظهر بحوث هذا الاتجاه هى تلك التى تستهدف تنمية مهارات الفريقين، الطفل / والقائم عليه معًا، ومن برامج تطبيقية / تدريبية.

ولقد رصدت هذه الورقة تطورًا إيجابيًا يعكسه التراكم الكمى لبحوث التطبيق والتدريب بقصد تنمية لغة الطفل عند الانتقال من مرحلة لأخرى، عن طريق تحليل ما ورد فى الدليل البيليوجرافى والدراسة المسحية، وما بعدهما.

ثالثًا- اتجاه الدراسات العلاجية / التقويمية.

وهى تلك الدراسات التى استهدفت مجال التعامل مع عيوب النطق، ومشكلاته، ومشكلات القراءة، والكتابة، والاستماع.

وهذه البحوث وإن بدت ظاهرة فهى ماتزال دائرة فى فلك علم النفس، ولم تتطور للإفادة من المجالات الطبية بدرجة ظاهرة.

إن تقدم بحوث هذا الاتجاه بدرجة أكبر مما هى عليه مرهون بالتعاون المثمر بين الأطباء وعلماء رياض الأطفال واللسانيين معًا.

إن الانطلاق من الأبحاث بأن اللغة فى ميدان الطفولة وسيلة يملى علينا دعم بحوث هذا الاتجاه سعيًا نحو نجاعة الوسيلة، وتقويتها، وهو ما يسهم بدوره فى دعم القيم والمعرفة معًا.

رابعًا- اتجاه الدراسات التقنية.

إن التطور التقنى المذهل فرض نفسه على بحوث لغة الطفل لتحقيق أهداف كثيرة يتعلق غالبها بغايات التحسين المهارى، ورفع الكفاءة اللغوية والتحصيلية عن طريق توظيف وسائل التقنية المعاصرة.

وبحوث هذا الاتجاه لم تكن موجودة فى مرحلة الإرهاص والبداية، ثم ظهرت فى مرحلة التأسيس (١٩٩٥م- ٢٠٠٧م)، ثم هى تزداد وتتفرع فى المرحلة الراهنة.

خامسًا- اتجاه الدراسات المستقبلية.

مثل هذا الاتجاه الصوت المختفى وراء بحوث جميع الاتجاهات السابقة، بحيث إنه يمكن الإقرار بأن المقصد الثابت والاستراتيجى الحاكم لبحوث كل الاتجاهات هو خدمة قضية التخطيط للمستقبل.

على أن ثمة محاولتين مهمتين جدًا تكشف عن هذا الاتجاه، وهما العملان المرجعيان اللذان اعتمدتهما هذه الورقة أداة لها، وهى :

- الدليل البيليوجرافى لطفل ما قبل المدرسة، وهو الذى انتهى رصده للأعمال المنجزة عند حدود ١٩٩٤م.
- الدراسة المسحية : لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى، وهى التى انتهى رصدها للأعمال المنجزة عند حدود ٢٠٠٧م، مغطية الفترة التى توقفت عندها عمل الدليل البيليوجرافى.

لقد انشغلت الدراسة المسحية بما عبرت عنه قائله : "ما الرؤية المستقبلية للدراسات والبحوث العلمية التى تسهم فى لغة الطفل وتنميتها".(٨)

إن هذه الاتجاهات قابلة للتمدد الداخلى، والتفريع، والتداخل البينى، وهو ما يلزم معه ضرورة الوعي بالمنجز، وتعميق بحدث كل اتجاه، وشق مسارات جديدة فى داخل كل اتجاه، وصناعة علاقات إيجابية لبحوث بينية بين الاتجاهات المختلفة.

لغة الطفل فى الوطن العربى : دراسة المنهج.

لم يحفل الدليل البيليوجرافى (١٩٩٤م) بأى مستوى من مستويات التحليل، وهو الأمر الذى استدركته الدراسة المسحية لبحوث لغة الطفل فى الجامعات المصرية تعيينًا، وكشفت الدراسة التحليلية التى أعقبت قائمة الرسائل التى غطت الفترة الممتدة من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٧م عن استعمال المناهج التالية :

أولاً- المنهجان الوصفى والتحليلى.

ثانيًا- المنهجان الوصفى وشبه التجريبى.

ثالثًا- المنهجان الوصفى والمسحى.

رابعًا- المنهجان الوصفى والمقارن.

خامسًا- المنهجان الوصفى والتاريخى.

سادسًا- المنهج الإكلينيكى الطبى.

سابعًا- منهج دراسة الحالة.

ثامنًا- المنهج الإثنوجرافى (الدراسة الطولية).

تاسعًا- المنهج المستقبلى.

عاشرًا- المنهج النقدى التحليلى.

والملاحظ على توزيع هذه المناهج التى رصدتها الدراسة المسحية (ص: ٣٤٦) أنها تتماشى مع الاتجاهات، وتخدم مناطق متنوعة جدًا من الأهداف والغايات المعرفية والمستقبلية.

ويلاحظ أيضًا تراجع أدوات منهجية مهمة للغاية، ولصيقة بطبيعة البحث فى لغة الطفل، من مثل :

- أدوات الجمع الميدانى.
- الأداة الإحصائية.
- أدوات التحليل الحاسوبى.(الإحصائى والصوتى واللغوى).
- أدوات الاستبصار المختلفة.(الاستبانة، والمقابلة، والتسجيل إلخ).

ولكن الحق يقتضى أن نقرر أن ثمة تقدمًا كبيرًا فى مناهج البحث فى لغة الطفل ظهر، إذا ما قارنا بين مرحلتى الدليل البيليوجرافى التى انتهت عند حدود ١٩٩٤م والدراسة المسحية التى امتدت تغطيتها للدراسات فى الفترة من ١٩٩٥م إلى ٢٠٠٧م.

لغة الطفل فى الوطن العربى : قصور اللحظة وآفاق المستقبل.

إن التوقف أمام العملين المرجعيين الكبيرين اللذين اعتمدتهما هذه الورقة فى قراءة : لغة الطفل فى الوطن العربى، من منظور المجالات والاتجاهات والمناهج تعكس قصورًا آنيًا، ألمحنا إلى شىء منه فى أثناء الحديث عن كل مطلب من مطالب هذه القراءة الثلاثة؛ وهو ما يمكن إجماله فى ما يلى :

5-1. قصور المجالات.

رصدت الورقة قصورًا وغيابًا فى المجالات التالية :

- فى مجال اللسانيات التطبيقية، فى فروع: معاجم الطفل / وقوائم الكلمات الأكثر

انتشارًا / وتعلم اللغات بما هى لغات ثانية.

- وفى مجال اللسانيات الحاسوبية، فى فروع : التحليل الحاسوبى للأخطاء / واستعمال الحاسوب فى التعليم اللغوى.
- مجال اللسانيات العيادية (الطبية).

يشهد المجال ندرة فى دراساته وبحوثه البينية بين اللسانيين والنفسانيين والأطباء.

- مجال التربية.

يشهد المجال تراجع دراسات لغة الطفل من منظور القيم والأخلاق.

- مجال السياسة.

يشهد المجال غياب بحوث دراسة لغة الطفل بما هى مسهمة فى دعم سياسات المشاركة الفعّالة، والتدريب عليها.

- مجال دراسة القومية.

يشهد المجال غيابًا تامًا فى الدليل والدراسة المسحية لدراسات لغة الطفل والهوية، والقومية، ومخاطر العولمة وسلبياتها. وتعليم اللغة الوطنية لأطفال المهجر.

- مجال الفنون .

يشهد المجال ندرة فى دراسة لغة الطفل العربى فى ضوء إمكانات المسرحة، والفنون المختلفة وإسهامها فى تشكيل لغته.

والحق أن المجلس العربى للطفولة والتنمية بعد إنجازه للدليل البيليوجرافى، ومشاركته فى الدراسة المسحية التحليلية للغة الطفل وتنميتها لم يتوقف، وتقدّم خطوة جديدة، ورعى أعمال مؤتمر: لغة الطفل العربى فى عصر العولمة(١٠) الذى أقيم فى فبراير ٢٠٠٧م ليمثل بداية الحلقة الثالثة من المراحل المؤرخة لبحوث لغة الطفل العربى التى نرى أنها يمكن أن تمثل مرحلة الرسوخ والنضج، ذلك أنه تنبه إلى مجالات واتجاهات ومناهج جديدة تجاوز بها الأفق الذى كان ماثلاً فى أعمال المرحلتين السابقتين اللتين مثلهما الدليل البيليوجرافى والدراسة المسحية.

ومما فتح له أفقًا من المجالات المهمة التى من شأنها أن تطور بحوث لغة الطفل ما يلى :

- مجال العولمة والمخاطر المهددة.
- مجال الهوية والقومية والمهجر.
- مجال التعريب، والترجمة.

5-2. قصور الاتجاهات.

رصدت هذه الورقة فيما سبق خمسة اتجاهات أساسية دارت عليها بحوث لغة الطفل العربى كما انعكست فى أعمال الدليل البيليوجرافى والدراسة المسحية.

وثمة قصور فى الاتجاهات التالية :

أولاً : اتجاه الدراسات الإعلامية.

ثانيًا : اتجاه الدراسات الفنية.

ثالثًا : اتجاه دراسات السياسة والهوية والقومية.

صحيح أن بعض البحوث تماست مع هذه الاتجاهات لكنها لم تظهر اتجاهات مستقلة، ولعل أعمال المؤتمر الذى انعقد على رأس المرحلة الجديدة ٢٠٠٧م، والذى دارت بحوثه عن لغة الطفل العربى فى عصر العولمة، وترسيخ هذه الاتجاهات الثلاثة تعيينًا، وتعمل على تعميق بحوثها وترسيخ استقلالها، ونضجها.

5-3. قصور المناهج.

لعل هذا الجانب هو أقل الجوانب التى يمكن وصفها بالقصور، ذلك أن الدراسة التحليلية رصدت عشرة مناهج، وهى جميعًا تغطى جغرافية المناهج الممكنة بشكل جيد، وإن كان ثمة قصور فى المناهج التالية التى غابت بحوثها، أو ندرت وهى :

أولاً- بحوث المنهج التكاملى.

ثانيًا- بحوث المنهج الميدانى.

5-4. دراسة لغة الطفل فى الوطن العربى : آفاق المستقبل.

لاشك أن الأعمال المرجعية الثلاثة المتمثلة فى :

- الدليل البيليوجرافى ١٩٩٤م.
- الدراسة المسحية التحليلية ١٩٩٥م – ٢٠٠٧م.
- مؤتمر لغة الطفل العربى فى عصر العولمة (المجلس العربى للطفولة والتنمية) ٢٠٠٧م تعد خطوة نحو المستقبل، ولاسيما أن الدراسة المسحية التحليلية انشغلت انشغالاً طيبًا بأفق التخطيط المستقبلى، وتصبح مسارات المستقبل فى هذه المرحلة مرهونة بنجاحات العمل على محورى قصور المجالات والاتجاهات والمناهج من جانب، والتخطيط فى ضوء احتياجات المستقبل لما يتطلع إليه حقل دراسات لغة الطفل فى ضوء التطور الإنسانى وتقدمه.

خاتمة:

حاول هذا البحث من خلال مطالبه الأساسية وهى :

- حدود المنجز فى حقل دراسة لغة الطفل العربى.
- دراسة مجالات بحوث لغة الطفل العربى.
- دراسة اتجاهات بحوث لغة الطفل العربى.
- دراسة مناهج بحوث لغة الطفل العربى.
- دراسة ملامح القصور فى بحوث لغة الطفل العربى، ورهانات المستقبل – أن يفحص واقع هذا الحقل، سعيًا لخدمة آفاق التخطيط المستقبلى، وأمكن أن يكشف عن النتائج التالية :

أولاً- تنوع مجالات دراسة لغة الطفل العربى.

ثانيًا- تنوع اتجاهات دراسة لغة الطفل العربى.

ثالثًا- تنوع مناهج دراسة لغة الطفل العربى.

رابعًا- يشهد الحقل تطورًا، وإن يكن بطيئًا، لكنه ملموس، كشف عنه إمكان رصد مراحل شبه واضحة للعمل فى هذا الحقل المعرفى.

خامسًا- اجتهد البحث فى تعيين ثلاث مراحل فى حقل دراسات لغة الطفل العربى هى :

- مرحلة البدايات والريادة والإرهاص ١٩٩٤م.
- مرحلة التأسيس والاستقرار ١٩٩٥م- ٢٠٠٧م.
- مرحلة النضج والترسيخ ٢٠٠٨م- ... م.

سادسًا- اجتهد البحث فى رصد ما سماه ملامح قصور اللحظة على مستوى المجالات والاتجاهات والمناهج، وحاول أن يستشرف بعضًا من مناطق القصور ويدل عليها.

سابعًا- قرر البحث أن أهم رهانات المستقبل ماثل فى استكمال ملامح القصور على مستوى المجالات والاتجاهات والمناهج ابتداءً.

ثامنًا- كشف البحث عن تغير نسبى فى خرائط تطور العناية ببحوث لغة الطفل العربى فى البلدان العربية، وإن استمرت مصر فى المقدمة لاعتبارات تاريخية، وسكانية، وأكاديمية ، إلخ.

تاسعًا- هذه الدراسة مهمة لدعم سياسات مشاركة الأطفال فى البلدان العربية.(١١)

الهوامش:

١- صدر الدليل بلا تاريخ. وقد توصلت إلى سنة النشر، وهى ١٩٩٤م من تتبع مطبوعات مطبعة الطوبجى التجارية، بالقاهرة.

٢- انظر : التحرير مفهوم المجال : المجال والمجال الجغرافى، لحسين أبعسين، مراكش، المغرب، ٢٠١٣م، (ص : ٢).

٣- انظر : قوائم الكلمات الأكثر انتشارًا فى أحاديث الأطفال من عمر عام حتى ستة أعوام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز توثيق وبحوث أدب الأطفال، القاهرة ١٩٩٠م. (ص : ٣٤).

٤- انظر : لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى : دراسة مسحية تحليلية، تقديم : الدكتور يسرى الجبل، دار العيد ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م (ص : ١٩٤(فقرة ٥٩)).

٥- لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى : دراسة مسحية تحليلية.(ص : ٣٠٠).

٦- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، للدكتور على عبدالواحد وافى، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٠م، (ص : ٢٢٤).

٧- لغة الطفل فى ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث، الدكتور حسام البهنساوى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، (ص : ٢).

٨- لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى : دراسة مسحية تحليلية، (ص : ٣٦١).

٩- انظر : لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى : دراسة مسحية تحليلية، (ص :٣٥٦).

١٠- انظر : لغة الطفل العربى فى عصر العولمة، المجلس العربى للطفولة والتنمية، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، تقديم : طلال بن عبدالعزيز ود. سهير عبدالفتاح، (ص : ٣-٦).

١١- انظر : مشاركة الأطفال فى البلدان العربية، تقديم طلال بن عبدالعزيز وحسن الببلاوى، المجلس العربى للطفولة والتنمية، القاهرة، ٢٠١٤م.

المراجع:

١- الدليل البيليوجرافى لطفل ما قبل المدرسة الابتدائية، المجلس العربى للطفولة والتنمية، القاهرة، بلا تاريخ (مطبعة الطوبجى التجارية ١٩٩٤م).

٢- قوائم الكلمات الأكثر انتشارًا فى أحاديث الأطفال من عمر عام حتى ستة أعوام، للدكتوره ليلى كرم الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣- لغة الطفل العربى فى عصر العولمة، تقديم طلال بن عبدالعزيز والدكتوره سهير عبدالفتاح، المجلس العربى للطفولة والتنمية، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٤- لغة الطفل فى ضوء مناهج البحث اللغوى الحديث، الدكتور حسام البهنساوى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤١٤ه = ١٩٩٤م.

٥- لغة الطفل وتنميتها فى البحث العلمى : دراسة مسحية تحليلية، تقديم الدكتور يسرى المجمل، المركز القومى للبحوث التربوية، والمجلس العربى للطفولة والتنمية، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٦- المجال والمجال الجغرافى، لحسين أبعسين، مراكش، المغرب، ٢٠١٣م.

٧- مشاركة الأطفال فى البلدان العربية، تقديم : طلال بن عبدالعزيز، المجلس العربى للطفولة والتنمية، القاهرة ، ٢٠١٤م.

٨- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، الدكتور على عبدالواحد وافى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٠م.